

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الجلالين سورة التكاثر

معالي الشيخ الدكتور

عبد الكريم بن عبد الله الخضير

عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

	المكان:		تاريخ المحاضرة:
--	---------	--	-----------------

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فاختيار هذه السورة من قبل الإخوة المنظمين لهذا الدرس اختيار موفق في هذه الأيام التي نعيشها والغفلة قد استولت في قلوب كثير من الناس، والانشغال قد استحوذ على كثير من القلوب منه ما هو انشغال حقيقي ومنه ما هو انشغال وهمي، فتجد الجميع مشغول وإذا طلبت من أحد موعد قال مشغول، سواء كان ذا شغل أو لا سواء كان ذا شأن أو لا، فكل الناس يعتذر بأنه مشغول، نعم كثير من الناس مشغول بديناه وأكثر الناس مشغول بغير شاغل، بعض الناس مشغول فيما ينفعه في آخره، وأكثر الناس مشغول بتدبير أمور دنياه مما هو على حساب آخره، وبعض الناس منشغل بغيره لا بنفسه ولا بدينه وبماله، وعلى كل حال الاختيار في هذا الظرف الذي نعيشه موفق، كثير من الناس بدلاً من أن يقال له ولا تنس نصيبك من الدنيا كثير من الناس يحتاج إلى أن يقال له ولا تنس نصيبك من الآخرة، لأن شغله الشاغل الدنيا، هذه السورة أعني سورة التكاثر سورة مكية والدليل على ذلك وجود كلا لأنه كما قال الناظم

مَا نَزَّلَتْ كَلًّا بِئْتَرِبَ وَلَا هِيَ فِي نِصْفِ جُزْءِهِ الْأَعْلَى
يعني ليست في النصف الأول من القرآن إنما هي في النصف الأخير وما نزلت بيثرب ما نزلت بالمدينة وإن كان السيوطي وغيره يستروح ويميل إلى أنها مدينة وعلى كل حال سواء كان هذا أو ذاك فالسورة من السور العظيمة في القرآن الكريم، ويحتاج إلى تدبرها كل مسلم، وهي علاج لكثير من أمراض القلوب، لكن علينا أن نتدبر ونعتبر ونتعظ.

معروف أن بداية السور تفتح بالبسملة وكل سورة من سور القرآن عدا براءة مفتوحة ب بسم الله الرحمن الرحيم، والخلاف بين أهل العلم هل هي آية من كل سورة؟ فهل بسم الله الرحمن الرحيم آية من سورة التكاثر أو ليست بآية؟

الإجماع قائم على أن البسملة بعض آية في سورة النمل هذا محل إجماع لا يندرج تحت الخلاف، وهي ليست بآية اتفاقاً في أول سورة براءة، وما عدا ذلك هو محل الخلاف، فمن أهل العلم من يقول إنها آية من كل سورة، ومنهم من يقول هي آية من سورة الفاتحة فقط، ومنهم من يقول إنها آية واحدة نزلت للفصل بين السور، ومنهم من يقول إنها ليست بآية مطلقاً، عدا ما أجمعوا عليه في سورة النمل، فالأقوال بعد تحرير النزاع بعد إخراج ما في سورة النمل ومطلع سورة براءة، الاتفاق قائم على أنها بعض آية في سورة النمل وليست بآية في أول سورة التوبة هذا محل إجماع، فإذا حررنا محل النزاع تحررنا هل هي مائة وثلاث عشرة آية في مائة وثلاث عشرة سورة أو هي آية واحدة نزلت للفصل بين السور أو هي آية في سورة الفاتحة فقط دون غيرها من السور أو ليست بآية مطلقاً هذا محل خلاف بين أهل العلم، وتحريره بذكر أدلته موجود في كتب

الفروع وفي مقدمات التفاسير المقصود أن هذا مطروق عند أهل العلم، والسورة بُدئت قراءتها من أولها القراءة مطلقاً تبدأ سواء كان من أول سورة أو من أثنائها تبدأ بالتعوذ، فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فتتعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند بداية القراءة سواء كانت القراءة من أول السورة أو من أثنائها، لكن البسمة إنما تكون إذا افتتحت السورة من أولها.

يقول الله -جل وعلا- : **{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ}** ألهاكم بمعنى شغلكم، و**{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ}** هل هو على سبيل الإخبار من الله -جلا وعلا- أو على سبيل الاستفهام يعني ألهاكم؟ يعني أشغلكم؟ وصدكم عن الأهم؟ أولاً الإنسان مخلوق، الجن والإنس خلقوا لهدف عظيم وغاية نبيلة وهدف أسمى وهو تحقيق العبودية لله -جل وعلا-، فكونه ينشغل عن هذا الهدف بغيره والسياق سياق ذم يكون مذموماً بهذه الآية **{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ}** ألهاكم يعني "شغلكم" وسواء كان إخبار أو استفهام إنكاري بتقدير الهمزة كله يدل على أن السياق سياق ذم وأن من ينشغل عما خلق له فهو مذموم

يا غفلاً عما خُلِقَ لَهُ انتبه

{أَلْهَأَكُمُ} بمعنى شغلكم **{التَّكَاثُرُ}** الصيغة هذه تفاعل مثل تضارب وتقاتل والتفاعل في الغالب يقع بين أكثر من طرف يقع من أكثر من طرف، التكاثر هذا يذكر المفسرون أنه أن سبب النزول أن بني عبد مناف تكاثروا مع بني أسد تكاثروا مع غيرهم فقالوا: نحن أكثر منكم. وقال الآخرون: نحن أكثر منكم. فصاروا يعددون منا فلان ومنا فلان وفلان فلان وفلان، والقبيلة الأخرى تقول كذلك منا فلان وفلان وفلان إلى أن انتهوا من تعداد الأحياء فذهبوا إلى المقابر يعدون وهذا منا وهذا منا وهذا منا يشيرون إلى القبور والقبيلة الأخرى كذلك يتكاثرون فينشغلون بهذا عما خلقوا له، فقال الله -جل وعلا- : **{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ} {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}** حتى جنتم إلى المقابر من أجل هذا التكاثر لتكاثروا بأعدادكم وتتباهوا برؤسائكم الذين تتفاخرون بهم لا من أجل الزيارة الشرعية، يعني حتى وصل الأمر إلى أن بدأت بتعدد الأموات، فالذي يتفاخر بالأموات دليل هذا على قلة بضاعته مما يمكن أن يفخر به، وإلا فالميت ميت لا يستطيع أن يدفع عن نفسه فضلاً عن غيره. هذا ذكره كثير من المفسرين ورأوا أن الآية نزلت في ذلك **{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}** هذه الغاية إلى أن وصلت إلى المقابر انتهى الأحياء من التعداد والتفاخر فأنتهى بكم الأمر أن ذهبتم إلى المقابر لا تعتبروا ولا لتتعظوا ولا لتمتثلوا الأمر، الأمر بزيارة القبور لا للانتفاع لا لنفع أنفسكم ولا لنفع من في القبور بالدعاء لهم وإنما للتفاخر والتكاثر. هذا يوجد نظيره في مجالس المسلمين تجد مثلاً واحد من بلد وآخر من بلد، شيء لا ينفع حقيقة يقضي على الوقت بدون فائدة ولو انشغل بدلاً من ذلك بالباقيات الصالحات التي لا تكلفه شيء سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر غراس الجنة سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر لكن تجده في المجالس أنت من بلد كذا وأنا من بلد كذا بلدنا أكبر منكم بلدنا أقبل منكم بلدنا سكانه كذا بلدنا كذا،

وينتهي الوقت على هذا لا شيء هذا تكاثر يدخل في الآية، فهذا حقيقة يقضي على الأوقات بدون فائدة، فلو استغلت هذه الأنفاس بما ينفع في الدنيا والآخرة كان أفضل نعم تجد بلدنا سكانه بلغو مليون يقول الآخر لا بلدنا أكبر بلدنا أقدم بلدنا أعرق لأجل ماذا؟؟ ثم ماذا؟ هذا كثير في المجالس يدور، وتجد الإنسان إذا مُدح بلده لا تسعه ثيابه ثم ماذا؟ إذا مدح نعم بدين وخير واستقامة وفضل هذه نعمة يشكر الله -جل وعلا- عليها لكن ما معنى إنه يمدح بأي شيء فضلاً عن كون يمدح هو بنفسه، لو قيل لزيد من الناس أن الأمير الفلاني أو الوزير الفلاني ذكرك البارحة فضلاً عن الملك تكلم بك البارحة وقال فلان ونعم يعني لو تكفيه هذه الكلمة يمكن ما ينام تلك الليلة، وتجده يتحدث بها في المجالس ويغفل مثل قوله -عليه الصلاة والسلام- نقلاً عن ربه -عز وجل- : «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه» أي ذكر فلان من الناس مهما عظم قدره وذكر الله -جل وعلا- لعبده؟ لكننا ننشغل بالقشور، وننصرف عما خلقنا له **{أَهَائِمُ التَّكَاثُرِ}** وعلى التفسير الأول التفاعل على بابها، وأهل العلم يدخلون كل ما يشغل عن الهدف الذي خلق له في عموم الآية حتى ذكر الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه: اقتضاء العلم العمل أن الانشغال بتحصيل الكتب العلمية الشرعية النافعة إذا زاد عن الحد دخل في هذه الآية يقول: وما جامع الكتب. ويقصد بذلك القدر الزائد عن الحاجة وما جامع الكتب إلا ككانز الذهب والفضة. يعني إذا كان كائز الذهب والفضة يقول: أنا في رصيدي كذا من الألوف أو من الملايين وجامع الكتب يقول أنا عندي كذا من نسخة كتاب كذا، وعندي كذا طبعة من كتاب كذا. ولا شك أن هذا على حساب العلم والعمل والشواهد لا تحتاج إلى ذكر يعني كل إنسان يحس هذا من نفسه، يقول عندنا مثلاً قيلت عنده كذا من كتاب مثلاً طبعة كذا عنده الطبقات كلها والنسخ متعددة من كل طبعة هذا لا شك أنه تكاثر، وهذا حاصل وموجود في أوساط طلبة العلم ولا شك أن كثرة الكتب مشغلة عن التحصيل كما قال ابن خلدون فتدخل أيضاً في التكاثر إذا كان يجمع هذه الكتب ليتباهى بها، والله فلان من الناس عنده أكبر مكتبة يكفيه أن يقال هذا وقد قيل، ويحرص بعض الناس على الكتب النادرة التي يشار إليه من أجلها والله فلان يملك نسخة من كتاب كذا، تدرون أن في بعض الكتب تحفظ في البنوك من أجل أن لا يسطى على البيوت من أجلها هذا تكاثر هذا تشاغل وأعظم كتاب كتاب الله بأرخص الأثمان يباع وصحيح البخاري والكتب الستة ورياض الصالحين وكتاب التوحيد والكتب النافعة بأرخص الأثمان، يعني يكفي طالب العلم دراهم يسيرة ليقتني ما ينفعه في دينه ودنياه، ومع ذلك ينشغل بهذا التكاثر بجمع النوادر وجمع الطبقات ونحن كغيرنا نعاني من هذا الأمر يعني وإن برأ الإنسان لنفسه أنه يجمع لنفسه ولغيره قد يحتاج غيره إحالة على طبعة لا توجد فيسعه ويعينه، لكن هذه النتيجة ما تستحق أن يصرف من أجلها الجهود وتتفق فيها الأموال فهذا أدخله أهل العلم من ذلكم الخطيب البغدادي في اقتضاء العلم العمل في

الآية **{الْهَائِمُ التَّكَاثُرُ}** ومن نعم الله -جل وعلا- أنه كل ما اشتدت الحاجة إلى شيء رخصت قيمته وضررنا مثال بأعظم كتاب كتاب الله -جل وعلا- بينما يوجد من الكتب ما قيمته ألوف يعني كتاب لا يسوى من يقتنيه ما يستحق من يتعب عليه ببيع بتسعين ألف والنووي يقول أنه اقتنى هذا الكتاب فأظلم قلبه وصعب عليه الحفظ حتى أخرجه ثم عاد إلى ما كان عليه وبياع في أسواق المسلمين بتسعين ألف، مائة ألف، لأن الطبعة نادرة فقط ومؤلفه ما أدري أي شيء؟ شيء لا قيمة له انشغال بتوافه وغفلة عما خلق له الإنسان وهو تحقيق العبودية، وتجد من يقتني الكتب.. ممن يقتني الكتب لا أقول كل من.. تجد ممن يقتني الكتب ولا سيما إذا كانت النية مدخولة قد ينشغل بهذه الكتب عن الصلاة فتجد يضرب موعد مع كتبي يبيع الكتب ثم يقول: نصلي في المكان الفلاني. ثم يركب سيارته وتفوته الصلاة بسبب هذه الكتب، يا أخي هذه غاية قدمت.. هذه وسيلة تقدم على الغاية! وإذا صف في صلاته لا سيما إذا رأى نوعية من الكتب ثم أقيمت الصلاة وطلع يصلي تجد التفكير كله في هذه الكتب، هذا إذا كان هذا الكلام فيما يعين على طاعة الله -جل وعلا- وهو كتب الشرع فكيف بغير ذلك ممن انشغل به الناس بما يشبه الجنون بل بعضهم بالفعل جن بسبب ذلك، يعني الفترة التي عشناها أشهر يعني انشغال الناس بالأسهم يعني ذكروا خيالات شيء ما يخطر على قلب عاقل يعني مجموعة كبيرة يصلون صلاة الظهر ويجهر الإمام ويأمنون ولا واحد ينتبه هل هذه علامات خير؟ والله ليست علامات خير وتكون العاقبة الخسران المبين -نسأل الله العافية- ويبقى أن في العمر فسحة لمن ارعوى وراجع نفسه **{الْهَائِمُ التَّكَاثُرُ}** فكل شيء يشغل به المرء عما خلق من أجله وهو الهدف العظيم وهو تحقيق العبودية لله -جل وعلا- يدخل تحت هذه الآية.

هل من التكاثر المذموم مما أصله يقرب إلى الله -جل وعلا- يعني مثل ما ذكرنا في الوسائل الكتب وجد هذا لكن الغايات هل منها ما يدخل في هذا المذموم؟ نعم إذا حصل به التكاثر والتفاخر يذم من هذه الحيثية فإذا قال شخص من الناس أنا أقرأ في اليوم عشرة أجزاء وقال الثاني أنا أقرأ خمسة عشر جزءاً يُذمون من هذه الحيثية من حيث التكاثر والتفاخر بما يقرأون أما القراءة معروف وضعها وحكمها وأجرها العظيم، كل حرف فيه عشر حسنات يعني الإنسان إذا قرأ عشرة أجزاء يحصل على مليون حسنة في اليوم فهو مطلوب منه أن يكتر لكن منهي ومذموم أن يكثر **{الْهَائِمُ التَّكَاثُرُ}** **{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}** عرضنا على التأويل الأول أنهم زاروا المقابر لا زيارة شرعية، ولا من أجل الاعتبار ولا الادكار ولا الاعتاظ ولا امتثال الأمر النبوي: **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»** لا؛ إنما ليعددوا أمواتهم ليضيفوهم إلى الأحياء على التأويل الثاني: أنكم انشغلتم بأمور دنياكم عما خلقتم له وتكاثرتم بهذا حتى زرتم المقابر يعني حتى تتم فتجد الإنسان منشغل في حياته مستغرق منهمك لا ينتبه إلا حين لا ينفعه انتباهه فيندم ولات ساعة مندم إذا نزل به الموت انتبه **{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}** يعني حتى تتم، والبرخ لا شك أنه زيارة لأنه

ليس بمحل إقامة، فالذي يموت يدفن في قبره في حكم الزائر لأنه سوف يعود سوف يبعث ثانية، ولذا لما سمع الأعرابي من يقرأ هذه السورة قال: بعث القوم ورب الكعبة. لأنه لا بد للزائر أن يعود بعث القوم ورب الكعبة. أعرابي ما يقرأ ولا يكتب فاستدل على البعث من هذه الآية وكثير من المسلمين يقرأ وكأنه لا يقرأ، ومثل هذا الكلام لا يحرك فيه شعرة مع الأسف، تدبر القرآن لا شك أنه يورث من العلم والعمل والتقوى واليقين والطمأنينة ما لا يدركه إلا ما عاناه، يعني من منا يقف عند قول الله -جل وعلا- : **{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}** [سورة المدثر:8] هل نقف عند هذه الآية؟ زرارة بن أوفى لما سمعها أو قرأها على رواية في صلاة الصبح مات صعق فمات، لأن لها معاني ووراءها ما وراءها ونحن نتجاوزها نبدأ في السورة وما ندري إلا ونحن في آخرها لا تحرك بنا شعرة فعلى الإنسان أن يراجع نفسه ويعيد كيفية قراءته للقرآن

فتدبر القرآن رمت الهدى فالعلم تحت تدبر القرآن

{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} والزيارة بالنسبة للرجال سنة باجماع أهل العلم.

يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : **«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكر الآخرة»** وجاء عنه أيضاً -عليه الصلاة والسلام- **«أكثرُوا من ذكر هادم اللذات»** فالإنسان لا شك أنه يصاب بالغفلة لا سيما في الظروف التي نعيشها لا شك أنها سبب في غفلة كثير من الناس لما خلقوا له، انشغلوا بالقليل والقال وتجد مع الأسف حتى ممن ينتسب إلى العلم تجد نصيب القرآن من وقته يسير جداً إن وجد وإلا بعضهم تطلع الشمس وتغيب ما قرأ شيء من القرآن وهذا لا يليق بمسلم أن لا يتعاهد كتاب ربه، تطلع الشمس وهو في صحف ووسائل إعلام مختلفة مقروءة ومسموعة ومرئية وتحليلات وماذا قال فلان وماذا حصل في كذا والنتيجة لا شيء، وهو لا يقدم ولا يؤخر بينما القرآن الذي هو أعظم كتاب دستور الأمة مصدرها الأول التي تصدر عنه في جميع تصرفاتها تجد تطلع الشمس وتغرب ما فتح المصحف، مع الأسف بعض طلاب العلم ليس للقرآن نصيب من وقته إلا إذا قدر أنه تقدم للمسجد قبل الإقامة بدقائق وجد نفسه أنه لا بد عاد يمضي هذا الوقت فالقرآن لا شك أنه رأس مال فإذا ضمنه القرآن فما بعده ربح، قراءة القرآن لا تكلف شيء، تجلس بعد صلاة الصبح إلى أن تنتشر الشمس بإمكانك أن تقرأ القرآن في سبع من دون أي تعب، ومن دون تضييع أي حق من الحقوق، تقرأ القرآن في سبع والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول لعبد الله بن عمرو: **«اقرأ القرآن في سبع ولا تزدد»** فإذا جلس المسلم يذكر الله يذكر بعد صلاة الصبح يأتي بالإنكار المشروعة ثم يقرأ القرآن إلى أن تنتشر الشمس بإمكانه أن يقرأ أربعة أجزاء ثم يختم في كل سبع وهذا أمر مجرب وجربه صغار الطلاب ، وإذا الإنسان فرض من وقته نصيباً محدداً لورده اليومي من القرآن لا شك أنه يوفق ويسدد في باقي يومه وبقية أعماله من أمور دينه ودينه يكون ضمن يومه، لأنه يكتر السؤال من طلاب العلم يقولون حفظنا القرآن لكن عجزنا عن المراجعة كيف نراجع؟ وهو يبخل

على القرآن بالوقت أعطِ القرآن من وقتك أعطه من السنام لا تعطيه من الأطراف وأنت جالس تنتظر في مستشفى وإلا في مكان ما تريد أن تطالع وتراجع ما يكفي يا أخي على الفرغة فإذا لم تهتم بكتاب الله فكيف تهتم بغيره، مع الأسف يوجد بعض الناس يهتمون بالحديث والحديث على العين والرأس ما أحد يقلل من شأن الحديث لكنه على حساب القرآن تجد بعض طلاب العلم يحفظ القرآن ثم يتركه، القرآن هو الكلام الوحيد المتعبد بتلاوته مجرد قراءته مجرد قراءة القرآن توجر عليها كل حرف بعشر حسنات والختمة ثلاثة ملايين حسنة هذا أقل تقدير، بعض الناس يضاعف الله لهم إلى سبعمائة ضعف وجاء في الحديث في المسند لكن ما يسلم من مقال وأهل العلم يتسامحون في هذا في باب الفضائل **«إن الله ليضاعف لبعض عباده الحسنة إلى ألفي ألف حسنة»** إلى مليونين حسنة الحسنة الواحدة، الحديث ضعيف لكن يبقى أن فضل الله لا يحد له، قد يقول قائل هذا أمور عظيمة كأنه يتكاثر ما عند الله -جل وعلا- نعم فضل الله لا يحد وإذا كان آخر شخص يدخل الجنة يقال له تمنى فتقطع به الأمانى يفكر يهوجس آخر واحد يدخل الجنة ما كفوه على حساب الخلق؟ فيقال له أترضى أن يكون لك كملكك أعظم ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: إيه وربى. فيقال له: لك هذا وعشرة أمثاله. فضل الله عظيم لكن لا بد أن نبذل من أنفسنا لا بد من بذل السبب لا بد من الصدق مع الله -جل وعلا- فزيارة القبور مشروعة ولا شك أنها علاج لقساوة القلوب وأبعد القلوب من الله القلب القاسي، **{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ} {إِلَّا مَنِ اتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}** [سورة الشعراء: 88-89] كيف يسعى الإنسان لسلامة قلبه؟ قالوا يكثروا من ذكر هادم الذات لأنه إذا ذكر في شيء قلله شيء كثير يقلله ثم بعد ذلك يجعل الإنسان ينصرف إلى ما وراء هذا الموت ويزور القبور وفيها العبرة والتذكرة للأخرة لكن مع الأسف وإلى الله المشتكى أن الإنسان يطل في هذه القبور وكأنه حفرة عادية لا فرق بينها -كما يقول بعض الإخوان- وبين حفرة الزيت التي يغير بها الزيت ما فيه فرق، وقد رأيت شخصاً في الخمسين في عمره ونصف اللحية أبيض يدخل على شفير القبر قلوب تحتاج إلى علاج، وحياتها بتدبر كلام الله وبالإكثار من ذكر الموت وزيارة القبور، ثم بعد ذلك وهو أبلغ من الزيارة مشاهدة المحتضرين كما يقول أهل العلم مشاهدة المحتضرين لكن هذا ما يتيسر لكل أحد، فعندك العلاج في كتاب الله -جل وعلا- والعصمة في كلام الله -جل وعلا- فالإنسان إذا تدبر القرآن لا شك أنه يورثه ذلك التدبر من اليقين والإيمان والطمأنينة شيء لا يخطر على بال كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

فعلينا أن نعنى بهذا الكلام العظيم ونبذل الأسباب التي تعين على حياة القلوب ونجانب الموانع، لا بد من بذل الأسباب واجتناب الموانع لأن بعض الناس قد يبذل سبب ولا يحصل له ما يريد لماذا؟ لأن عنده ما يمنع من تأثير السبب في مسيبه فلا بد من اجتناب الموانع تجد الإنسان مخلط في كسبه ويريد حياة قلب! لا يتورع عن الشبهات ثم بعد ذلك يريد قلباً سليماً من الغش

والحقد والغل! لا، عليك أولاً بالموانع فاجتنبها ثم ابدل الأسباب وإذا كانت دعوة ترد من أجل لقمة يأكلها من كسب حرام فكيف إذا كان مخلط في جميع مكاسبه النبي -عليه الصلاة والسلام- ذكر الرجل أشعث أغبر يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب يا رب يدعو الله -جل وعلا- بهذا الاسم العظيم الذي يقول أهل العلم أنه أولى ما يدعى به حتى قرر جمع منهم أنه إذا دعي بهذا اللفظ خمس مرات أحببت الدعوة، ونعرف أن هذا سبب إذا ما كان هناك مانع وإلا إن وجد مانع ما تجاب الدعوة، وأخذوا هذا الكلام من الأدعية الواردة في آخر سورة آل عمران إلى أن قال: **﴿قَاسَتْجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ﴾** [سورة آل عمران: 195] المقصود أن هذا الأشعث الأغبر الذي يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب فكونه أشعث وأغبر منكسر القلب مسافر والمسافر له دعوة مستجابة ومع ذلك مطعمه حرام ومشربه حرام وغذي في الحرام فأنى يستجاب له. أنى يستجاب له وهذه الموانع موجودة؟ كيف يستجاب! استبعاد. وتجد بعض الناس يقول أقدم لا تفوتك الفرص ومع الأسف منهم من ينتسب إلى طلبة العلم أقدم مسألة شبيهة مسألة مختلط طهر يا أخي باب التطهير موجود. نقول يا أخي ما ينفكك هذا التطهير لماذا؟ لأن التطهير من تمام التوبة والتوبة لها شروط فهل تحقق شرط واحد من هذه الشروط؟ وهو يقول لك أقدم ساهم لا تفوتك وإن كانت مختلطة لكن طهر يا أخي ما تبرأ ذمتك لماذا؟ لأنك ما تبت أصلاً شروط التوبة الإقلاع فوراً وهو يقول لك استمر وطهر لا تقلع فوراً لماذا تقلع؟، الندم فكيف تتدم وأنت مستمر، والعزم على أن لا يعود، شروط التوبة الثلاثة كلها ما هي بموجودة ثم يقول لك طهر، التطهير من تمام التوبة يعني أنت تتعامل بمعاملة محرمة ثم تبت من هذه المعاملة، الله -جل وعلا- يتوب عليك التوبة تهدم ما كان قبله إذا كانت خالصة لله -جل وعلا- متوفرة فيها الشروط التوبة تهدم ما كان قبلها لكن بشروطها، فإذا توافرت شروطها نعم والتائب من الذنب كمن لا ذنب له بل فضل الله -جل وعلا- أعظم، لأن الله -جل وعلا- يبذل السيئات حسنات، **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾** **﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ ..﴾** إلى أن قال: **﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾** [سورة الفرقان: 68-69-70] فإذا تاب الإنسان بدل الله سيئاته حسنات، أما يقول لك لا تتب معناه يقول لا تتب إذا كان يقول لك استمر ومن شرط التوبة أن تقلع فوراً ومع الاستمرار كيف تتدم وأنت مستمر؟ وكيف تعزم على أن لا تعود وأنت مستمر؟ فشروط التوبة كلها متحققة.. فالتطهير غير وارد مع تخلف جميع شروط التوبة، لأن التطهير من تمام التوبة فإذا تبت طهر إذا جاءك شيء مال فيه شبهة من غير قصد ورد عليك وأنت ما تدري تخلص منه، أما ان يرد عليك وأنت مقدم عليه أبداً يا أخي بعضهم يقول هذه أمور يعفى عنها، أمور يسيرة يعفى عنها مثل يسير النجاسة يعفى عنها، يعني في مذهب أبي حنيفة أن الشيء اليسير من النجاسة يعفى عنه وإلا معروف عند الحنابلة

والشافية أنه لا يعفى عما لا يدركه الطرف من النجاسة يمثلون بأمثال رؤوس الإبر هذا لا يعفى عنه عند الحنابلة والشافعية وأبو حنيفة يقول: يعفى عن اليسير. لكن ما معنى اليسير عند أبي حنيفة؟ هل يستطيع أبي حنيفة وغير أبي حنيفة أن يأتي لشخص ويقول بل على ثوبي شيء يسير لأنه معفو عنه يعني إذا ورد عليك شيء من غير قصد هذا يسير يمكن يعفى عنه لكن تقصد هذه النجاسة ويقول يعفى عنه أبداً ما يقول بهذا عاقل فضلاً عن الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان -رحمة الله عليه- فهم يتشبثون بأمور يوقعون بها ويلبسون بها على العامة لكنها ما تنفعهم فعلى الإنسان أن يطيب المطعم، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة أي إنسان يمد يديه هل فيه أحد يمكن أن يستغني عن الدعاء؟ وارتباطه بالله -جل وعلا- لا بد أن يكون وثيقاً ما دام مسلماً مؤمناً بالله -جل وعلا- فلا شيء إلا عن طريقه -عز وجل- فأنت إذا طلبت من المخلوق أعطاك أو حرمك فالمعطي هو الله -جل وعلا- فأنت تسأل الله -جل وعلا- وتلهج بدعائه من أجل أن يحقق لك ما تريد من أمور دينك ودنياك فإذا كنت عازماً على الدعاء وتريد أن يستجاب دعائك يا أخي ابذل الأسباب وعليك بنفي الموانع.

{حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} {كَلَّا} يقول أهل العلم: كلا حرف ردة وزجر، وذكرنا في بداية الدرس أنها لا توجد في السور المدنية وإنما هي في السور المكية وبهذا استدل على أن هذه السورة مكية **{كَلَّا}** والسيوطي ينتصر لكونها مدنية لأنه جاء في آخرها **{ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}** قصة النبي -عليه الصلاة والسلام- مع أبي بكر وعمر وهي في المدينة قطعاً لأن الذي أضافهم رجل من الأنصار، فاستدلوا بها على أن السورة مدنية وعلى كل حال سواء كانت مكية أو مدنية هي ليس فيها من الناسخ والمنسوخ ليس شيء.. آياتها محكمة وعلى هذا سواء كانت مكية أو مدنية لا فرق لأن من فوائد المعرفة المكي والمدني معرفة المتقدم من المتأخر الناسخ والمنسوخ ولا ناسخ ولا منسوخ إذاً سواء كانت مكية أو مدنية لا فرق **{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** **{ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** تأكيد وهذا لا شك أنه أسلوب تهديد، **{أَلْهَائِكُمُ النَّكَاتُ} {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** **{ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** تهديد لأنك إذا علمت وبان عليك ما كان قد خفي عليك سوف تندم لانشغالك بالمفضول عن الفاضل **{ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** هذا من باب التأكيد اللفظي وعطف التأكيد على المؤكد ياباه أهل اللغة، الأصل أن التأكيد اللفظي بدون عطف وهنا معطوف الثاني على الأول بثم التي تدل على التراخي ولذلك يقول أهل العلم أن قوله: **{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** الأولى إذا عاينتم يعني عند الموت وتيقنتم المصير ودفنتم في قبوركم وبانت لكم النتيجة **{ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** إذا دخلتم إلى دار الجزاء، **{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** **{ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ}** **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}** ماذا يحصل لكم؟ جواب لو لو أن علمكم علم من تيقن ما الذي يحصل لكم؟ لما حصل لكم التشاغل والنكاث **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}** وعلم اليقين يحصل بخبر الصادق وجاءتنا الأخبار

القطعية في كتاب الله وسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام - أننا مبعوثون بعد الموت ومجازون على أعمالنا إن خيراً فخير وإن شراً فشر يعني حصل لنا العلم اليقيني واليقين يوصف به العلم، فعندنا علم يقين وعين اليقين وحق اليقين، ابن القيم - رحمه الله - في مدارج السالكين يقول: إن علم اليقين يحصل بخبر الصادق علم اليقين وعين اليقين يحصل بالمشاهدة بالرؤية وحق اليقين يحصل بالمباشرة، لو جاء زيد من الناس وهو عندك ثقة ومعه عمرو وبكر وخالد يعني مجموعة من الثقات قالوا إنه جاءنا في بلدنا فقع الذي هو الكمأة أو عسل مثلاً بمجموع هؤلاء تستطيع أن تكذب؟ ما تستطيع لأن كلهم ثقات ومجموعة يعني واحد يحصل منه الخطأ والوهم لكن إذا تظافروا وصاروا أكثر من واحد تجزم بأن خبرهم يقيني يفيد العلم لا يحتمل النقيض، فيحصل علم اليقين بخبر الصادق هؤلاء صادقون وخبرهم مفيد للعلم، لكن إذا طلعت للسوق وشفت العسل يباع أو الفقع يباع هذا عين اليقين لكن لو قال لك صاحب العسل تفضل ذق أنت تدخل إصبعك وتلعق هذا اسمه ماذا؟؟ حق اليقين، وهو مرتبة أعلى من علم اليقين ومن عين اليقين يعني في خبر الصادق عندنا الذي لا يحتمل النقيض أن هناك جنة وهناك نار، نعم لكن إذا رأينا وعابنا الجنة والنار قبل الدخول هذا ماذا؟؟ علم اليقين فإذا دخلنا نسأل الله - جل وعلا - أن يبلغنا دار السلام فهذا هو حق اليقين **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} {التَّوْرَةُ الْجَدِيدِ}** يعني كأنكم.. ما دام الخبر لا يحتمل النقيض وهو من الله - جل وعلا - بحيث لا نتردد فيه هل هناك وراء أن هناك جنة ونار؟ فيه أحد مسلم يشك أن هناك جنة ونار؟ لكن كثير من الناس في أعماله وتصرفاته كأنه يشك فلو علم علم اليقين وصدق التصديق الذي تترتب عليه آثاره لصار كأن هذا الخبر مشاهد لكان مثل علم اليقين ما فيه فرق والقرآن جاء فيه التعبير عن الأخبار الصادقة التي لا تحتمل النقيض المتواترة المستفيضة أنها مثل المشاهد في المرئية في الرؤية مثل المشاهد المرئي ولذا يقول الله - جل وعلا - **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} [سورة الفجر: 6] {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} [سورة الفيل: 1]** يخاطب من؟ يخاطب النبي - عليه الصلاة والسلام - والنبي - عليه الصلاة والسلام - ما شاهد ولا رأى لا عاد ولا أصحاب الفيل لأنه ولد سنة الفيل، فكيف يخاطب بالرؤية ألم تر؟ لأنه جاءه الخبر بطريق ملزم لا يستطيع أن ينكر يعني جاءه الخبر بطريق يقيني والخبر اليقيني في حكم المشاهد في القطعية **{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} {التَّوْرَةُ الْجَدِيدِ}** كأنكم ترون الجحيم فالتدبر لا شك أنه يورث علم وعمل ويجعل الإنسان كأنه يشاهد هذه الأمور ولذا الصحابي لما قال للنبي - عليه الصلاة والسلام - : أصبحت مؤمناً حقاً فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام - : **{اعقل ما تقول فإن لكل حق حقيقة}** فذكر أنه كأنه يرى الجنة والنار والملائكة وكذا وكذا فهذه الأخبار من الله - جل وعلا - باعتبارها أنها صدرت منه لا تحتمل النقيض كأخبار النبي - عليه الصلاة والسلام - التي صحت عنه لا تحتمل النقيض فماننا كأننا مكذبون يعني نسمع هذه الأخبار ولا تؤثر فينا ثم لترونها ماذا؟؟ نعم عين اليقين، بعد علم

عين وذلك بعد المشاهدة، مجرد خبر هذا علم اليقين مشاهدة عين اليقين **{ثُمَّ لِنَسْئَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}** النعيم يختلف أهل العلم والمفسرون ذكروا أقوال فمنهم من يقول: الصحة والعافية هذا نعيم. ومنهم يقول: المأكل والمشرب والملبس نعم هذا نعيم، منهم من يقول: الصحة والفرغ كما جاء في حديث: **«نِعْمَتَانِ مَغْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»** الله -جل وعلا- يوالي علينا النعم، ونعم الله علينا تترى **{وَإِنْ تَعِدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْضَوْهَا}** [سورة النحل:18] نحن نتقلب في النعم ولا نحسب لها أي حساب نعمة السمع نعمة البصر نعمة العقل نعمة الدين رأس المال النعم من المأكولات والمشروبات التي توفر لنا في بلادنا في زمننا شيء لا يخطر على بال، يعني قبل وقوعه لو تحدثت عنه متحدث قيل ضرب من الجنون وتجبي إلينا الثمرات من كل فج ووجد على مائدة واحدة طعام من ست القارات نعيم، والقرطبي في تفسيره يذكر عن بعض السلف في تفسير قول الله -جل وعلا- **{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ}** [سورة العلق:6-7] يقول: من وضع على مائدته ثلاثة أصناف من الطعام فقد طغى. ينقل عن بعض السلف فكل شيء أنت محاسب عليه **{ثُمَّ لِنَسْئَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}** النبي -عليه الصلاة والسلام- خرج في يوم من الأيام وما أخرجه إلا الجوع، وجاء في عيشه -عليه الصلاة والسلام- معروف في الصحيحين وغيرهما أنه يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين ما يوقد في بيته نار، وطعامه -عليه الصلاة والسلام- الأسودان التمر والماء أشرف الخلق يعني لو كان في هذه النعم التي نتقلب فيها مزية لنا على غيرنا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- وصحابته الكرام أولى منا بها لكن نخشى أن تكون بعض أقدامنا قدمت لنا في الدنيا وحجبت عن أولئك الأخيار لتتوفر لهم أجورهم في الآخرة، النبي -عليه الصلاة والسلام- خرج من بيته ما أخرجه إلا الجوع فلقي أبا بكر وعمر فقال: **«ما الذي أخرجكما»** فقالا الجوع، فقال: **«والله ما أخرجني إلا الذي أخرجكما»** فذهب -عليه الصلاة والسلام- بصاحبيه إلى رجل من الأنصار يقال له أبو الهيثم بن التيهان فطرق الباب وسلم في بعض الروايات أن المرأة ما ردت السلام يعني ما أذنت لهم، يعني ما سمعوا رد السلام منها ولا قالت أدخلوا والعادة في الاستئذان أن يقول المستأذن السلام عليكم أدخل؟ يكررها ثلاثاً إن أذن له وإلا انصرف، سلم النبي -عليه الصلاة والسلام- ثلاثاً واستأذن فلم يؤذن له فانصرف فقالت: المرأة هلموا، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«ما أردت؟»** قالت: أردت أن استكثر من سلامك لأن السلام دعاء من النبي -عليه الصلاة والسلام- وبالسلامة وهذا جاء عن أبي موسى أنه ما رد السلام على النبي -عليه الصلاة والسلام- ثلاثاً فانصرف النبي -عليه الصلاة والسلام- ليستكثر من سلامه، فأذنت لهم بالدخول فسألوا عن صاحب البيت، فقالت ذهب يستعذب لنا الماء يأتي لنا بماء عذب نشرب، فلما جاء وقد وجد النبي -عليه الصلاة والسلام- في مزرعته أو بيته كما في بعض الروايات أكثر الروايات على أنها مزرعة، فرح واستبشر ورحب وقال إنه لا أحد أكرم منه ضيوفاً فعمد إلى نخلة

فجذ منها عذقًا ووضعها بين أيديهم فأكلوا من البسر والتمر ثم جاء لهم بالماء البارد وأخذ المُدِيَّة السكين ليذبح لهم ما يكرمهم به ويضيفهم به وإكرام الضيف واجب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، فكيف إذا كان الأضياف خير الخليقة فقال لهم النبي -عليه الصلاة والسلام- «إياك والحبوب» احذر أن تذبح الحبوب، فذبح لهم وشوى بعض وطبخ البعض الآخر قدم لهم فأكلوا من التمر وشربوا من الماء البارد وأكلوا من هذه الذبيحة فلما فرغوا قال النبي -عليه الصلاة والسلام- : «والله لتسألن عن هذا النعيم» فكيف بمن كان ديدنه ذلك يوميًا يحصل له مثل هذا هذا النعيم الذي نتقلب به ما كان يخطر على قلوب من تقدمنا في السن لكن هل شكرنا؟ كثير من الناس نعم هذه البلاد أبتليت بالضراء طويلاً حتى أكلوا الجيف ومع ذلك ما تنازلوا لا عن دين ولا عن عرض حافظوا على أديانهم وعلى أعراضهم، لكن لما فتحت علينا الدنيا وانبسحت تنازلنا عن كثير مما كنا متمسكين به، فهل هذا من شكر النعمة؟

ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ فمن الذي يُسأل؟ هل يسأل المسلم؟ هل يسأل الكافر فقط؟ من أهل العلم من يرى أن الذي يسأل الكافر أما المسلم الذي يعبد الله -جل وعلا- عبادته شكر لهذه النعمة، وأما الكافر الذي يتقلب في النعم ولا يشكر هذا هو محل السؤال والمرجح أن كل أحد يسأل؛ لأن النبي -عليه الصلاة والسلام- والأخبار.. صحيح لما أكل ما أكل عند أبي الهيثم وفي بعض الروايات عند أبي أيوب قال: «والله لتسألن عن هذا النعيم» فإذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يخاطب أبا بكر وعمر وأنهم يسألون فكيف بمن دونهم؟ ممن يفتن للشكر مرة ويغفل عنها مرات فكل أحد يسأل عن النعيم المسلم والكافر لكن الكافر يسأل سؤال تقريع وتبكيث والمؤمن على قدر شكره إن كان ممن يلهج بالذكر والشكر فهذا يسأل سؤال إكرام وتقدير ليزاد في نعيمه، وإن كان ممن يغفل عن الشكر يأتيه من التقريع ما يناسبه ثم بعد ذلك مآله إلى خير -إن شاء الله تعالى-.

نقول نكتفي بما تقدم مما يتعلق بالتفسير السورة، والسورة حقيقة من السور العظيمة وكل القرآن عظيم لكن لضيق الوقت والأسئلة كثيرة نكتفي بما تقدم ونجيب على بعض الأسئلة مما يحتمله الوقت بين الأذان والإقامة..

والله أعلم وصلى الله وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.